

تونس أمام خطر خطاب الكراهية الزاحف



حسابات مرتبطة بالتحولات الإقليمية والدولية.

لا شك أن خطاب الكراهية يجد الكثير ممن يركبون صهونه لاعتبارات مرتبط بالتيارات اليمينية التي تحاول اليوم أن تتصدر المشهد في تونس في ظل تراجع أداء اليسار التقليدي وتشتت القوى الوسطية الحديثة، التي كانت تعتبر نفسها المؤتمنة على ثوابت دولة الاستقلال، وقشلتها في الاستجابة لتطلعات المرحلة. ويعبر هذا الخطاب العدواني عن عقلية إقصائية ضد كل من يختلف مع أصحابه، من منطلق الرغبة في الأفراد بالحكم والسلطة والثروة والنفوذ، فكلما ارتفعت وتيرة الشعور بالعجز عند الفرد أو الجماعة أدت إلى العمل على إلغاء الطرف المقابل أو السيطرة عليه وإبترازه، وهذا ما يبدو واضحا في ملامح المرحلة القادمة إذا تمكنت القوى اليمينية والشعبوية من السيطرة على البرلمان، ووجدت في الغالبية معها من بعض القوى العقائدية الأخرى التي أثبتت خلال الأعوام الماضية أنها تتحازن للأقوى وليس للأقرب إليها فكريا أو سياسيا. تونس تواجه اليوم فرضيات لم تكن مطروحة قبل أشهر قليلة، وأخطر هذه الفرضيات أن تدخل الدولة مرحلة التصدع من الداخل بواسطة من ينطلقون من وهم إعادة تشكيلها وفق مشروعهم الذين يعدون به.

الجزري في المجتمع، وفي نظرية الحكم وهيكله النظام والقطع مع منظومة دولة الاستقلال قطعا نهائيا. لسنا في موقع التشكيك في قدرة قيس سعيد على الإيفاء بتعهداته، ولكن الواضح أن الرجل بدأ يشعر بأنه تورط ورطة لا يحسد عليها، أبرز معالمها أن جانبا كبيرا من أنصاره ومريديه وداعميه الطارئين يسعون إلى الدفع به إلى مواجهة لا يرغب فيها مع الدولة العميقة والمجتمع، ومن خلال خطاب للكراهية يحاول نفض سمومه فؤويا وجهويا ومناطقيا وسياسيا واجتماعيا، وعبر هتك عرض التاريخ والتشكيك في رموزه وأحداثه ومفاصله من خارج سياقات مراحلها وإكراهاتها. هذا الخطاب العدواني قد يكون المحدد لنتائج الانتخابات التشريعية التي ستعقد في السادس من أكتوبر، فتحرك اليوم أمام وضعية تشيطن السابق والمختلف والمغاير والمنافس الجدي، وتشهد تصعيدا بالغ الخطورة في الاعتماد على الأكاذيب والفكرات والإشاعات والتشويه المتعمد لسير خط الدولة منذ الاستقلال إلى الآن. وتحاول الإطاحة بمختلف الثوابت التي تعاضت معها التونسيون وأصبحت جزءا من عقيدتهم الوطنية، حتى النموذج المجتمعي أصبح في خطر، وتقاليد الدبلوماسية التونسية تواجه منحنى انقلابيا عليها بجملته الاضطرابات الطارئة التي يحاول الفاعلون الجدد التمتع فيها ضمن

بلد عربي، وانتشار خطاب التكفير والتخوين وتقسيم المجتمع إلى علمانيين وإسلاميين، وكفرة ومؤمنين، ونوار وأزلام، وجناة وضحايا، وتقدميين ورجعيين، ووطنيين وعملاء، وغير ذلك من التصنيفات التي كانت تصب في الصراع على السلطة والثروة والنفوذ عبر استضعاف الدولة والاستقواء عليها بمنطق الشرعية الثورية. لقد أدى الفشل الذريع الذي منيت به النخب السياسية الحاكمة والمعارضة إلى انهيار منظومتها في الدور الأول للرئاسيات في 15 سبتمبر، ليجد التونسيون أنفسهم أمام دور ثان بين شخصيتين مثيرتين للجدل. وهما قيس سعيد، القادم من حراك خفي لتجمعات شباب فيسبوك الغاضب والحالم في أن، ونبيل القروي، الذي استطاع أن يكسب تعاطف ناخبه قبل ثقتهم، من خلال الأعمال الخيرية التي قامت بها جمعياته، ووفرت لها قناته التلفزيونية التغطية الإعلامية الذكية. اليوم هناك التفاف من التيارات اليمينية المتشددة حول قيس سعيد، الذي ترى فيه رمزا للثورة، رغم أنه لم يكن معارضا لنظام زين العابدين بن علي ولا فاعلا في الاحتجاجات التي أطاحت بنظامه، ولكنه استطاع أن يمثل واجهة جيدة لمشروع لا يبحث عن رجل دولة بقدر ما يبحث عن شخصية ملهمة للشباب تمتلك القدرة على إنعاش الخيال بإمكانية إحداث التغيير



الحبيب الأسود
كاتب تونسي

تنتج تونس إلى استعادة ما كانت عليه بعد الإطاحة بالنظام السابق في العام 2011 من خطاب فوضوي شعبي تسلطي باسم الثورة وأهدافها، ومن منح إقصائي عدواني يسعى إلى احتكار شعارات الهوية والوطنية والسيادة من قبل قوى تعمل على الاستفادة من فشل النخبة التي تصدت للحكم وخاصة منذ العام 2014، وتقدم نفسها على أنها المؤتمنة على الدولة والمجتمع والثروات والمقدرات والعلاقات الخارجية والأمن القومي، وأنها المهولة لمحاسبة من تشاء وإعلان الحرب على من تشاء، وتغيير توجهات ومواقف الدولة إلى المنحنى الذي تشاء. تونس اليوم بدأت تعود إلى المربع الأول من خطاب الكراهية الذي برز بالخصوص في العام 2011 ثم في عهد حكم الترويك، والذي كانت من إفرزاته اغتيالات السياسة التي طالت الزعيمين المعارضين شكري بلعيد ومحمد البراهمي، وقبلها القيادي المحلي لحركة نداء تونس في جنوب شرق البلاد لطفي نفض، إلى جانب الاعتداء على مفار تابعة للاتحاد العام التونسي للشغل، واتساع ظاهرة الاستقطاب والتسفير للشباب المتشدد نحو ساحات المواجهة في أكثر من

انتقائية تركية شديدة في الأمم المتحدة

الداخلية، أو أن ينادوا بالديمقراطية أو قدر أكبر من الحرية. وإحفاقا للحق، فإن المسؤولية تقع على عاتق الجانبين؛ فسلك حكام تركيا ورفض أوروبا أن تكون تركيا عضوا في الاتحاد وجهان لعملة واحدة. لكن هذا لا يغير الحقيقة، ومفادها أن تركيا لا تلعب بروح الفريق.

المؤسسات المتعددة الأطراف وقواعد تلك المؤسسات. وقبل زمن ليس ببعيد، كان إسبانيا في الأمم المتحدة مسالة وجاهرة لا أكثر. فقد حصلت تركيا على صفة العضو غير الدائم في مجلس الأمن الدولي أربع مرات، كان آخرها في 2009-2010. لكن بعد فشل مساعيها للفوز بدمج جديدة في 2015-2016 يبدو أنها فقدت الرغبة. وبالنسبة إلى تركيا فإن الأمم المتحدة توفر لها منصة لإبهار الجمهور، وليس لممارسة النفوذ الدبلوماسي أو وضع سياسات تستهدف الصالح العام.

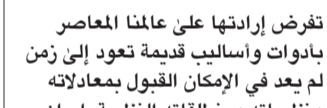
وتتملك إسرائيل أسلحة نووية، ومن المحتمل أن يمتلك آخرون في الشرق الأوسط هذا النوع من الأسلحة قريبا. وفي المقابل تلزم تركيا ببند معاهدة منع الانتشار النووي. وندار ما تحاسب إسرائيل على معاناة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. وفي المقابل، تخضع تركيا دائما لتدقيق دولي شديد فيما يتعلق بالقضية الكردية وحقوق الأقليات وحقوق الإنسان على نطاق أوسع.



ديمتار بيشيف
كاتب في موقع
أجوال تركية

صعد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى المنصة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك هذا الأسبوع، ولوح بخارطة للمنطقة الآمنة في شمال شرقي سوريا. واقترح أردوغان توطين مليوني لاجئ في تلك المنطقة، وهدد أوروبا، ضمنا، بموجة جديدة من المهاجرين، مثل موجة الهجرة التي حدثت في عام 2015. وعرض الرئيس صورة لإيران كردي، الطفل الذي غرق وهو ابن ثلاثة أعوام، ليلسط الضوء على الدول الغربية، وليذكر العالم بجرم تركيا التي تستضيف نحو 3.6 مليون سوري نزحوا بسبب الحرب الأهلية الدائرة منذ ثمانية أعوام. ولم ينس أردوغان بنيت شفة عن ردود الفعل العنيفة ضد السوريين في تركيا وزيادة عدد الهجمات التي تستهدف اللاجئين، والناجبة من مشاعر الكراهية تجاه الأجانب. وسلطت كلمة أردوغان الضوء أيضا على الأراضي الفلسطينية (وعرض مجموعة أخرى من الخرائط والأسلحة النووية (حيث قال إن من حق تركيا أيضا الحصول على هذه الأسلحة، وليس فقط الأعضاء الذين يحظون بامتياز عضوية النادي النووي). وراي أردوغان في هذا؛ هو أن تركيا لعبت دائما وفقا للقواعد، وأنها تحترم التزاماتها السياسية والقانونية الدولية وتعلي كلمة العدالة. لكن بينما تلزم في بنده الاعراف والمبادئ تستغل قوى أخرى هذا الأمر وتضرب بالمصالح التركية. ويريد الاتحاد الأوروبي من تركيا أن تكون أرضا لاحتواء طالبي اللجوء. وفي المقابل، تقدم الولايات المتحدة الدعم للمسلحين الأكراد.

العبث الإيراني بين لغته وممارساته الواقعية



فاروق يوسف
كاتب عراقي

تفرض إرادتها على عالما المعاصر بأدوات وأساليب قديمة تعود إلى زمن لم يعد في الإمكان القبول بمعدلاته ونظرياته ومنطلقاته النظرية. إيران تعيش زمنا يقع خارج عصرنا الحديث. وإذا ما كان سياسيوها يسعون إلى اللعب في الساحة الدولية من منطلق فهمهم للسياسة باعتبارهم مجالاً للكذب والتضليل والخداع، فإن هناك حقائق كبرى تغند مساعيهم وتضعهم في قصص الاتهام. حين يشرح الرئيس حسن روحاني خطته للأمن في الخليج فإنه يشير إلى "نقط المنطقة الشرقية" في السعودية ولا يخفي ما في تلك الإشارة من تلميحات طائفية مفضوحة. وفي ذلك لا يجرح الرئيس الإيراني "المعتدل" عن نطاق اللغة السياسية الإيرانية ذات الوجهين لغة غيبية تكشف عن رغبة في استغناء الآخرين الذين أصابهم الخداع الإيراني بالضحجر واليأس. لا يرغب الإيرانيون في التفاوض مع الأمريكان الآن. هذا ما يعلنونه لكن من المؤكد أنهم حفروا الف قناة من أجل الوصول إلى تفاهم مسبق مع سيد البيت الأبيض الذي يخشون أن يزل لسانه في إحدى تغريداته، فيكتشف حقيقة ما يسعون إليه. محمد جواد ظريف، وزير خارجيتهم المعروف بمراوغاته اللغوية، سبق له أن استقال من منصبه. كان السبب في استقالته أن هناك من يفسد عليه منعة بلاغته الكاذبة. هناك من بين صفوف النظام من يصرح علنا بأطباع إيران في المنطقة، وجنوحها إلى الحرب. لقد شعر ظريف أن كل جهوده في خداع المجتمع الدولي ستذهب هباء إذا ما استمر زعماء الحرس الثوري في إطلاق تهديدهم التي تكشف عن أساسها موقفه التفاوضي مع أوروبا. ولكن مشكلة روحاني وظريف ومن دور مثلها في تلك اللغة الزائفة أنهم لم يدركوا حتى اللحظة أن تلك اللغة لم يعد في مقدورها أن تغطي على النزعة العدوانية للنظام، الذي يحاولون التجميل بوداعته وحسن نواياه. عبثت إيران بالمنطقة بطريقة لم يعد معها السعي إلى إظهارها مدافعة عن الأمن والسلام ممكنا. وهو ما صار واضحا بالنسبة إلى المجتمع الدولي الذي لا يزال مصدوما بالنزعة الانتحارية التي انطوت عليها عملية قصف منشآت نفطية في دولة لم تدخل مع إيران في حرب.

تتحدث إيران بلغة لا تمت إلى ما تفعله بصله. فهي تقول شيئا وتفعل شيئا يناقضه. وإلا ما معنى أن تتحدث عن السلم والأمن في الخليج، وفي الوقت نفسه توجه صواريخها لضرب المنشآت النفطية السعودية؟ لدى النظام الإيراني مفهوم خاص للسياسة. يقوم ذلك المفهوم على أن السياسة كلها كذب وخداع وتضليل ومراوغة وتزييف للحقيقة. لذلك فإنه يسعى من خلال ذلك المفهوم أن يمر أفعاله على الأرض كما لو أنها شيء منفصل. الواقع الذي يسعى الإيرانيون إلى فرضه هو من وجهة نظرهم حق مكتسب، حتى وإن كان ذلك الواقع يجري فرضه على حساب الحقائق الجغرافية والتاريخية التي هي أساس المنطق السياسي الذي يعتمد عليه الواقع الذي لا يراه الإيرانيون ولا يعرفون بوجوده. إنهم يعيشون انفصالا عميقا بين ما يفكرون فيه وما يفكر فيه باقي البشر في مختلف أنحاء العالم الحديث. فهم أبناء زمن لا علاقة له بعصرنا. إنهم يختبرون مشاركتهم في بيئة عالمية تجاوزت الأفكار التي تستند عليها تلك المشاريع منذ قرون عديدة. لذلك فإنهم يلجؤون إلى التحدث بلغة، يعتقدون أن العالم سيقبل عليها، متناسين أن أفعالهم المباشرة على الأرض تتناقض كليا مع ما تقوله السنتمهم. لا يشعر الإيرانيون بانهم يكدون. تلك مشكلة يمكن أن يعاني منها من يُقدّر له أن يجلس على طاولة مفاوضات تجمعهم بهم. فهم غالبا ما ينحرفون بالحوار عن هدفه. فهم، على سبيل المثال، يهربون من مواجهة سؤال من نوع "لماذا يناصرون السعودية العداء؟" لبد أن يكون جوابهم بالنفي. أما عن هيمنتهم على العراق ولبنان واليمن من خلال مليشيات تعلن، من غير حياة، عن ولائها للولي الفقيه فإنهم يوزعون الأدوار بين قادة حرسهم الثوري الذين يخفون باستيلائهم على تلك الدول، وبين سياسيين الذين يتحدثون عن حق تلك الدول في أن تختار نظامها السياسي المستقل. هناك عبث إيراني لا يمكن استيعابه عن طريق المنطق السياسي. الدولة الدينية في إيران تريد أن

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدباني
كرم نعمة
حزام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العيقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk



المسؤولية تقع على عاتق الجانبين؛ فسلك حكام تركيا ورفض أوروبا أن تكون تركيا عضوا في الاتحاد وجهان لعملة واحدة. لكن هذا لا يغير الحقيقة، ومفادها أن تركيا لا تلعب بروح الفريق

ومن الواضح أنه لا يوجد بين تلك المظالم أي شيء ليس مبنيا على أساس. هناك دائما نواة للحقيقة، بغض النظر عن الحكمة السياسية التي يضفيها أردوغان ومن يدينون له بالولاء. وإحفاقا للحق فإن الشكاوى التي نتحدث عنها مطروحة منذ فترة طويلة. ويعود موضوع التواطؤ الأميركي مع النزعة الانفصالية الكردية إلى الفترة التي أعقبت مباشرة الحرب العراقية عام 2003. وقد استخدم هذا الموضوع ذات مرة ضد أردوغان من قبل المتقدين القوميين والعلمانيين، الذين صوروا الحزب الحاكم على أنه عميل لإدارة الرئيس الأميركي جورج بوش. لكن كلمة أردوغان تنم أيضا عن عدم الثقة الراسخة لدى تركيا في

